■ الفصل الأوَّلُ:

بداية البداية

تعرفت على الفريق الخويلدي في بداية الستينيات من القرن الماضي . إذ جمعتنا حركة الكشافة . وكان هو طالبًا في مدرسة الزاوية الثانوية وبفرقة الزاوية للكشافة التي يقودها زميلنا الأستاذ أحمد النويري .

وكان ضمن الفرقة الفريق مصطفى الخروبي ولم تنشأ بيننا صداقة . وإنما هي معرفة جمعتنا أخوة الكشافة . التي وحدت ليبيا وجمعت شبابها من الشرق والغرب . والجنوب .

وكان من ضمن كشافة الجنوب العقيد معمر القذافي . ومن كشافة الشرق محمد نجم . وعمر الواحدي . وابو بكر يونس جابر .

وجميع هؤلاء التحقوا بالقوات المسلحة وكانوا قيادة الثورة التي أطاحت بالنظام الملكي فيما بعد .

ينتمي الفريق الخويلدي إلى قبيلة الحميدات . وهي قبيلة صغيرة تنسب إلى الأشراف . وتسكن في منطقة الجميل في غرب ليبيا . حيث يقع ضريح جدهم الحاج حمد أما جدهم الأكبر فهو مدفون في بلدة القواسم بغريان .

وأغلب قبائل الأشراف في ليبيا ينتمون إلى الأدارسة الذين بعد سقوط دولتهم في المغرب وبطش البربر بهم تفرقوا في الشمال الأفريقي وغرب ووسط أفريقيا وشرقها .

وكانت عائلته تقطن منطقة صرمان حيث تلقى تعليمه الابتدائي . فهو من مواليد ١٩٤٢ م .

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . وشهد الظروف التي عاشها شعبه بين المحور والحلفاء وقتل آلاف الليبيين فيها وهم لا ناقة لهم فيها ولا جمل .

وقاسوا ويلات المجاعة . والجفاف . والجدب . وتشتتوا في البلدان

المجاورة.

وكان والد الخويلدي ككل شعبه في المنطقة قاسى ما قاسى الجميع من ضنك العيش .

وكانت منطقة صرمان ضمن المناطق التي استهدفها الحزب الفاشسي لتسكين المواطنين الإيطاليين. فأنشأ فيها عدة مزارع يملكها الإيطاليون ويشتغل فيها الليبيون بالأجرة الزهيدة . كما كان بعض الأثرياء الذين يملكون أراضي ولا إمكانية لهم لاستصلاحها . يعطونها لليبيين الذين لهم الاستعداد لإصلاح الأرض . بطريقة يسمونها (المغارسة) أي بالنصف .

فيقوم المواطن بزراعة الأرض . وعند وصول الأشجار من الزيتون والنخيل . إلى مرحلة الإنتاج تتم قسمة الأرض بين صاحبها الأصلي وبين المزارع . وكان والد الخويلدي يقوم بزراعة الأرض بالمغارسة لعدم ملكيته أراضي له .

ولم يكن اخوته بلقاسم . وعمر . وعبد السلام أحسن حالا منه فجميع السكان حالتهم متساوية وظروفهم متشابهة فالبلاد خرجت من حرب (الحرب العالمية الثانية) التي لا ناقة لليبيا فيها ولا جمل . وفقدت آلاف الشباب جندهم الإيطاليون لخوض الحرب ضد الحلفاء .

وقد أنجب الحاج الدالي مجموعة من الأولاد من ضمنهم الخويلدي الذي كانوا خير عون له في الزراعة.

وكانت ليبيا تحت سيطرة الدول المنتصرة منذ طرد الطليان منها في يناير ١٩٤٣ وكان الليبيون يسعون لاستقلال بلادهم وأنشأوا مجموعة من الأحزاب أغلبها يعمل من اجل استقلال ليبيا .

وكان الحزب الوطني الذي يدعوا للفيدرالية . ويقوده محمود المنتصر . على علاقة بالإنجليز، يريد امارة ادريس السنوسي على ليبيا . حيث أعلن الإنجليز

استقلال برقه منفصلة عن ليبيا في عام ١٩٤٩ .

وكان حزب المؤتمر الذي يقوده بشير السعداوي يدعو لوحدة ليبيا وانضمامها للجامعة العربية يستحوذ على تأييد الشعب الليبي . وكان والد الخويلدي الحميدي ضمن المؤيدين لهذا الحزب .

إلا أن انتخابات مزورة جعلت من الحزب الفيدرالي يفوز بالرغم من سقوط قتلى من الشعب الرافض للفيدرالية في كل من صرمان وصبراته والزاوية . وبني وليد. وطرابلس والعجيلات وتم طرد بشير السعداوي من ليبيا بأمر الإنجليز بحجة أنه ليس ليبيًا .

بشبر السعداوي من كبار المجاهدين الليبيين ضد الطليان ومن الذين كان لهم الدور الأبرز في فض المنازعات ومصالحة القبائل وهو الذي فوضه مؤتمر غريان أغسطس ١٩٢٠ لحمل البيعة لإدريس السنوسي في أجدابية التي أسس بها حكومة والاتفاق مع الطليان .

وكان المجتمعون في غريان من زعامات الغرب الليبي يسعون لتوحيد الجهود لقتال الطليان معا في حالة زحف الإيطاليين من جديد لاحتلال ليبيا وهذا ما وقع عام ١٩٢٢ فذهب بشير مع وفد لطلب إدريس للمشاركة في القتال مع أهل الغرب .. ووعدهم بذلك ولكنه توجه إلى مصر وبقى بها إلى أن خرجت إيطاليا من ليبيا حيث عاد للوطن تحت حماية الإنجليز .

إدريس بعد نجاح حزب الفيدرالية أصبح ملكا على ليبيا وتم طرد السعداوي للمنفى بحجة أنه ليس ليبيًا .

ومن المعلوم أن السعداوي كان مستشارًا للملك عبد العزيز بعد هجرته من ليبيا . وله دور مميز في إصلاح ذات البين بين السعودية واليمن وتأسيس المؤتمر

الإسلامي . والمكتب العربي .

أعود للحديث عن حزب المؤتمر الذي عومل المنضمون لهذا الحزب كل صنوف العنف وزج بالكثيرين منهم في السجون .

وكانت مدينة الزاوية تعج بالأفكار والتنظيمات السياسية . فهي معقل الإخوان المسلمين والبعثيين ، والقوميين . والناصريين . والشيوعيين وكانت الحكومة تعتقل بعضهم أحيانًا كاعتقالها للبعثيين عام ١٩٦١ . وللقوميين عام ١٩٦٧ وكان المدرسون العرب في الثانويات والمعاهد العليا يغذون هذه التيارات التي لا يعرفها الليبيون من قبل .

الجيش الليبي

كانت نواة هذا الجيش تأسست تحت رعاية الإنجليز في مصر . فلقد رأوا أن هناك الكثير من الليبيين يترجدون مهاجرين في مصر .

كما أن الإنجليز اسروا آلاف الليبيين كانوا مجندين مع الجيش الإيطالي .

فيكفي أن نقول أن الإنجليز أسروا في معركة (سيدي البراني) ١٣٠.٠٠٠ مائة وثلاثين ألف من الجيش الإيطالي أغلبهم من الليبيين . وكان هناك مجموعة من زعماء ليبيا يتواجدون في مصر .

وطلب الإنجليز من السيد إدريس السنوسي تجنيد الليبيين مع الإنجليز لمحاربة الطليان . وعرض الموضوع على الزعامات الليبية في مصر . فوافق زعماء المنطقة الشرقية إلا أن زعماء المنطقة الغربية . عون بن سوف . والطاهر المريض وأحمد السويحلي . رفضوا الانضمام تحت قيادة الإنجليز ما لم تضمن لهم بريطانيا الحرية لليبيا بعد طرد الطليان .

إلا أن أدريس وافق دون شروط. وفي ٩ أغسطس ١٩٤٠ تأسست أول كتيبة ليبية . وقام الإنجليز بتدريبها وتلاحق المتطوعون واشتركوا مع الإنجليز في تحرير ليبيا واسموهم الجيش السنوسي.

وفي عام ١٩٥١ بعد الاستقلال أمر الملك بتأسيس الجيش وانتدب اللواء عمران الجاظره وهو ضابط ليبي في الجيش التركي حارب مع مصطفى كمال أتاتورك في الحرب العالمية الأولي . وله دور بارز وهو ليبي من منطقة درنه .

التقيت مع هذا اللواء المتقاعد في أنقره عام ١٩٧٤ وحدثني حديث تأسيس الجيش الليبي قال :

أنشأنا معسكرًا في سوسة ضم ٥٠٠ خمسمائة جندي ومعي ضابط من طرابلس (يعني عون رحومه) وكانت إمكانياتنا ضعيفة حتى في التموين . وأحضروا لي ضابطين من الإنجليز يساعدونني في التدريب .

وعند طابور الصباح . وكنت أراقب التدريب في الساحة شاهدت الضابط الإنجليزي يصفع جندي ليبي فتقدمت منه وصفعته وأنا أقول له « نحن نريد تعليمهم الشجاعة لا الجبن» .

وذهب الضابط الإنجليزي لسفارته التي احتجت للملك . فاستدعاني إدريس وقال لي : يا عمران كيف تصفع الضابط البريطاني . وبريطانيا هي التي نصبتني ملكا . وبكى قال عمران: «إلا أن إدريس جبان» .

فقدمت له استقالتي وعدت إلى تركيا . واستعارت ليبيا رئيس أركان من العراق يدعى أحمد راغب .

وتكونت كتيبة إدريس الأولى التي كان لها الدور المجيد في استلام فزان من الفرنسيين وكان الضابط إدريس العيساوي على رأسها وكان شجاعا.

ثم إنها وقفت داعمة للثورة الجزائرية وانتقلت تحت قيادة العقيد نوري الصديق إلى غات . وخاضت معركة أيسين عام ١٩٥٧ ضد الفرنسيين لحماية الثوار الجزائريين وحدثني وزير الدفاع الأسبق المرحوم يونس عبد النبي بالخير في عهد المملكة . قال : «قمت بزيارة إلى أمريكا وطلبت منهم تطوير الجيش الليبي وشراء كميات من الأسلحة . وكان تعداد الجيش ٥٠٠٠ خمسة آلاف وأبلغتهم أنني سأرفع العدد إلى ١٥٠٠٠ خمسة عشر ألف .

ولما رجعت إلى ليبيا أقالني الملك . وتبين لي أن عدد الجيش حسب الاتفاقية

مع أمريكا لا يزيد على خمسة آلاف وأنا لم أعلم بالاتفاقية هـذه ورأوا أنني أتجاوز مصالحهم» .

وكانت لبريطانيا خمسة قواعد عسكرية في ليبيا ولأمريكا قاعدة (ويلس) من اكبر قواعدها خارج الوطن . وقاعدة (الوطيه) من أكبر قواعد التدريب ومجموعة من القواعد المساعدة لمخازن الأسلحة والذخائر والاتصالات .

وكانت مالطا هي التي تشرف على اتصالات الأجواء الليبية تحت رعاية بريطانيا .

الخويلدي يدخل الجيش

في هذه الظروف للجيش الليبي بعد أن أكمل الخويلدي دراسته الثانوية بالزاوية التحق بالكلية العسكرية وهي كلية حديثة العهد بالتكوين تخرج منها ملازم ثاني وتدرج في ترقياته إلى أن وصل إلى رتبة نقيب .

كما كان معه في الكلية مجموعة من شباب الزاوية الذين يتأججون بالقومية العربية والوحدة العربية وكانت إذاعة القاهرة . وصوت جمال عبد الناصر المعين الذي يستقون منه حماسهم .

كان مع الخويلدي ودخلوا الكلية معه وفي فترات متقاربة وجميعهم من الزاوية

مصطفى الخروبي . الهادي العربي بلقاسهم القانقا الهادي اميريش . الهادي مفتاح . منير الطاهر. عبد القادر سعيد . وخليفة مصباح . وجميعهم من مدرسة الزاوية الثانوية .

هؤلاء الشباب اختلطوا مع غيرهم من مناطق ليبيا والتقوا بمعمر القذافي . وعبد السلام جلود. وعبد الفتاح يونس . وعبد الرحمن الصيد . وامحمد المقريف . ومحمد نجم . وأبو بكر يونس جابر . وعمر المحيشي . وعبد المنعم الهوني . وخليفة حفتر . ومختار القروي . ومجموعات أخرى.

وكان معمر القذافي حلقة الوصل بينهم وتنظيمهم في تنظيم الضباط الوحدويين الأحرار الذي استطاع أن يسقط النظام الملكي يوم ١ سبتمبر ١٩٦٩ .

الجبل الأخضر

وكان الجبل الأخضر صفحة من صفحات التاريخ تروى كهوفه وأوديته . معارك الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي . ومسارح أبطال الجهّاد الذين قاوموا العدو بسلاحهم القليل . وعتادهم الأقل . وتموينهم المعدوم . وإيمانهم القوي . هكذا كان عمر المختار . وعبد الحميد العبار. وعبد السلام الكزه . وعمر بو فضيل . وغيرهم من أبطال الجهاد الليبي الذين رووا بدمائهم تراب الوطن .

وكان الضباط والجنود الليبيين الذين تخرجوا من كلية الضباط ببنغازي يقرأون هذه الصفحات المجيدة . ويستنطقون التاريخ ويشحنون أذهانهم بمفاخر الأجداد .

ولقد جاءوا من مدن وقرى وصحراء ليبية كانت مسرحا للبطولات وللأبطال الذين قاوموا بكل شجاعة غزوا كان يمتلك الطائرات والدبابات والغازات السامة . والجنود المجندة من أرتريا . والصومال . وجيبوتي وقاتلوهم بهم .

وليس للشعب الليبي غير سلاح الإيمان . وبرز مئات الأبطال قادوا الجهاد في الزاوية غيث بن عمار البلعزي . وفي النواحي الأربعة الصويعي الخيتوني . وفي غريان مختار كعبار . وفي الرجبان محمد فكيني . وفي الزنتان سالم بن عبد النبي وفي الصيعان على كله . والمبروك الغدي . وفي أولاد بو سيف محمد بن عبد الله البوسيفي . وأبو بكر قرزة. وعبد الرحمن الأخن . ومحمد ودان . وبلقاسم النفار وفي المشاشيه محمد بن حسن المشاي .

وفي أولاد سليمان أحمد سيف النصر . وعبد الجليل سيف النصر . وفي الكفرة

زويه . البراني الساعدي . وبوعقيله الزوي . وصالح بو كريم . وفي التوارق الفقي انقدازن . ومحمد صنبير . وخليفة حاكم . وفي زليطن عبد الله الزدام . وفي النوائل على بن ضياف . وفي ترهونه المبروك المنتصر الترهوني . وأحمد المريض. وفي نالوت خليفة بن عسكر . وفي كاباو سليمان الباروني وفي مصراته رمضان السويحلي وزعماء آخرين وشهداء امتلأت بهم الساحة الليبية .

كان هؤلاء الشباب في الكلية العسكرية يذكرونهم بفخر ويتخذون منهم مثالا وطنيًا يحتذون به وكل منهم ينقل في ذاكراته حكايات امه . أو الده . أو جده وهو يروي له بطولات الليبيين المجيدة .

وفي هذا الجو نشأ ضباط الجيش الليبي الذين شكلوا في داخل الكلية تنظيم الضباط الوحدويين الأحرار .

في درنه

كانت كتيبة إدريس الأولى . ترابط في معسكر درنه وهي الكتيبة التي تم تنسيب الملازم الخويلدي الحميدي لها .

كانت درنه صفحة من صفحات التاريخ الوطني هناك يرقد ٧٠ شهيدا من الصحابة تحت راية قائدهم زهير بن قيس البلوي الذي انتقل إلى الجزائر ليخلص ثار الشهيد والبطل عقبة بن نافع الفهري الذي قتله كسيله واستطاع زهير أن يقضي على كسيلة ويرجع إلى الشرق .

وفي الطريق . وهو يمر بدرنه في ٣٠٠ ثلاثمائة من أصحابه . وجد الروم قد أرسوا بواخرهم على ردنه . وصاروا يقبضون على المواطنين ويأسرونهم ويحملونهم إلى بواخرهم لبيعهم في أسواق النخاسة في أوربا .

واستنجد الناس بزهير الذي لبى نداءهم وخاض معركة غير متكافئة ضد قوات أكثر من قوته بأضعاف مضاعفة .

واستشهد جميع الصحابة رضوان الله عليهم وعلى رأسهم زعيمهم وقائدهم زهير بن قيس ولا زالت مقبرة الصحابة شاهدًا على هذه البطولة العربية الإسلامية.

وعندما حاول الأمريكان تخفيف الإتاوه التي يدفعونها لطرابلس . حاولوا مهاجمتها بأسطولهم من سفنهم الحربية ١٨٠٤ فاستعانوا بالخونه . واحضروا أحمد القره مانلي أخ يوسف القرة مانلي من مالطا وحاولوا إنزاله في درنه . ليضغطوا على يوسف بعدا احتلالهم للمنطقة الشرقية وتنصيب أحمد واليا عليها إلا أن أهالي درنه وقفوا سدا دون بلادهم وانتصروا على الحملة الأمريكية . ومنعوا أحمد القره مانلي

من النزول في درنه .

كما وقف أهالي طبرق سدا منيعا للحملة التي يقودها ضابط بريطاني قدم برا من الإسكندرية لمساعدة الأمريكان على احتلال درنه . واستطاعت بحارة طرابلس أن تأسر السفينة الأمريكية (فيلاديلفيا).

هذه الصفحات من التاريخ المشرف اطلع عليها الضابط الشاب الذي قدم من الغرب إلى درنه لينخرط في السلك العسكري بكتيبة إدريس التي تعسكر بدرنه . ويطبق ما درسه في الكلية العسكرية من علوم نظرية .

إلى سبها

كما هي عادة الجيش تنتقل كتائبه من مدينة إلى أخرى داخل تراب الوطن . انتقلت كتيبة إدريس إلى سبها . وترقى الملازم الثاني إلى ملازم أول . وهناك في الصحراء الملهمة اطلع الملازم أول الحميدي على صفحة من التاريخ الليبي المجيد فهذه القلعة التي يرابط بها الجيش ويسمونها (القاهرة) بناها أولاد امحمد. وهي أسرة شريفة من الأدارسة . حكمت فزان قرابة المائتي سنة وناصبها الأتراك العداء ووقعت معهم معارك عدة يتراجعون إلى النيجر ونيجيريا ثم يعودون لحتلوا فزان من جديد .

هذه القلعة استخدمها الإيطاليون مخزنا لأسلحتهم وذخائرهم وتموينهم لتمويل قواتهم في فزان لما وصلوها أواخر عام ١٩١٣ واستطاع الشيخ سالم بن عبد النبي الزنتاني مع ثلة من المجاهدين أن يحتلها ويستولي على كل ما فيها في أواخر عام ١٩١٤ . الأمر الذي جعل الايطاليين ينسحبون من الجنوب خاصة بعد قيام الحرب العالمية الأولى .

وعلى مقربة من سبها تقع براك . بجانبها المحروقة اللتي وقعت بها معركة شديدة في ديسمبر ١٩١٣ استشهد فيها عشرات المجاهدين وعلى رأسهم ١٤ شيخا وزعيم المجاهدين المجاهد محمد بن عبد الله البوسيفي .

إنها فزان التي تروي كل قرية من قراها ملحمة من ملاحم الجهاد .

لا شك أن الملازم الخويلدي وزملاؤه استوعب هذه الملاحم . ودرسها وسجلها في مخيلته . كيف لا . وهو حفيد هؤلاء الأبطال الذين ناصروا الوطن وفدوه بالغالي وبالرخيص .

إلى ترهونه

وانتقلت الكتيبة إلى ترهونه . وأصبح الملازم أول الخويلدي نقيبًا كما أصبح معاونًا للكتيبة التي هي إمرة أحد الضباط الأقدم رتبة . ترهونه المدينة المجاهدة التي وقعت بها معركة الشقيقة . التي قال العقيد الإيطالي الذي تم أسره فيها . «شاهدت الدماء في المعارك . ولكنني لم أشاهد الدم يجري مع الوادي إلا في معركة ترهونه» وسمي الوادي (وادي سرط) ببؤرة الموت .

وثم قتل ٢٢٥٠ ألفين ومائتين وخمسين ايطاليا أبيض من غير الإرتريين والمجندين وقاموا بأسر كتيبة إيطالية بقائدها العقيد الذي ألف كتابا أسماه (مع البدو) روى فيه المعركة بتفاصيلها وكيفية أسره وتم استبدال الأسرى الإيطاليين بأسرى من المجاهدين قبض عليهم الطليان وبعضهم رحلوه إلى الجزر الإيطالية .

كل هذا يتابعه النقيب الخويلدي كما يتابعه زملاؤه من الضباط والجنود ووطنهم ليبيا تربض على ترابه القواعد البريطانية والأمريكية والشركات الأجنبية الاقتصاد يتحكم فيه آلاف الإيطاليين الذين جلبهم الفاشست ومكنهم من الأراضي الزراعية والورش والمتاجر والعمارات يشاركهم في هذه السيطرة اليهود الذين أعانوا الفاشست على السيطرة على الليبيين . وكانت الاتصالات مستمرة بين رفاق السلاح وزملاء الكلية العسكرية في تنظيمهم الذي يعمل لتغيير النظام وجعل ليبيا دولة في مصاف الدول المتقدمة وتطهيرها من القواعد الأجنبية والتبعية للأجنبي . وتحرير اقتصادها وحفظ ثرواتها من الضياع .